صور من حياة المرأة في الغرب

تأليف

د. مازن مطبقاني

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

شغلت المرأة الغربية حيزاً كبيراً من تفكير نسائنا وبناتنا لأنها تظهر لهن في القنوات الفضائية في الأفلام، وفي قنوات الأغاني في الرقص والتمايل والخضوع بالقول والحركة، وتظهر لهن في المجلات في صفحات الأزياء، كما تعرفن إليها في أثناء السفر والسياحة. وتعرفن إلى المرأة الغربية وزيرة أو رئيسة للوزراء –وإن كان هذه المعرفة هي الأقل- لقد أصبحت المرأة الغربية التي يقدمها الرجل أمامه بزعمهم "السيدات أولاً" أنموذجاً تسعى المرأة العربية المسلمة –غالباً- إلى تقليده.

ولكن من خبر المجتمعات الغربية واطلع على بعض تفصيلات حياتها يجد أنها تعاني الكثير الكثير، وأن الصورة الوردية أو الفاحشة التي يرسمها الإعلام لها ليست إلاّ جزءاً من الحقيقة.

وهذه المقالات التي كتبت على فترات متفرقة ونشرت في أكثرها في صحيفة "المدينة المنورة" أو غيرها من الصحف والمجلات المحلية والخليجية تسعى إلى رسم صورة أقرب إلى الحقيقة للمرأة الغربية. بعض هذه الصور تؤكد حقيقة معاناتها، بينما تقدم في مقالات أخرى صورة المرأة الغربية الواعية المدركة لمسؤوليتها فتقرر وهي في قمة مجدها الوظيفي أن تعود إلى المترل رافضة كل الإغراءات. كما تقدم هذه المقالات صورة المرأة الغربية التي كانت تهزأ بالحجاب ثم إذا هداها الله سبحانه وتعالى إلى

الإسلام أدركت أن غطاءها لرأسها وجسمها جعل عقلــها يتفـــتح إلى حقيقة السفور والتبرج، وأنها في وضعها السابق كانت بالفعل تسعى إلى لفت انتباه الرجال إلى شكلها وهيئتها وجسمها.

الصور متعددة، فهل تدرك المرأة المسلمة أن قدوتها ليست المـــرأة اللعوب المتبرجة السافرة التي نزعت عنها برقع الحياء فضاعت وأضاعت، وإنما قدوتها خديجة، وعائشة وأم سلمة وزينت بنت جحش وفاطمة رضي الله عنهن أجمعين.

مازن مطبقاني

الفصل الأول

عمل المرأة والعودة إلى البيت

المبحث الأول

المرأة الغربية تعود إلى البيت ...!

هل أسلم الغرب قياده للمرأة؟ أو هل انتزعت المـــرأة القيـــادة في الغرب؟ هل أحسنت المرأة القيام بدورها في أثناء قيادتها أو هل أدت هذه القيادة إلى كوارث في الحياة الاجتماعية في الغرب؟ لدينا إجابتان إحداهما من امرأة عرفت النجاح في منصب قيـــادي وأدركـــت بفطرتهـــا أو أن ظروفها أجبرتها على إدراك أن ما كانت تقوم به مخالف لمهمتها الأساسية: أن تكون أمّاً وزوجا. أما الإجابة الثانية وإن تعددت صورها فهي كتابات قدمها رجال حور دور المرأة، وهل تجاوزت حقيقة هـــذا الـــدور (الأم والزوجة) أو لا ، ومن الذي سمح لها بتجاوز هذا الدور؟

تقول المرأة التي وصلت إلى أعلى المناصب القيادية في شركة ببسي كولا (رئيسة عمليات الشركة لأمريكا الشمالية) إنها عملت مدة اثنتين وعشرين سنة ووصلت إلى الحصول على راتب يقدر بمليوني دولار سنوياً ولكن كان عليها أن تختار بين الاستمرار في العمل أو العودة إلى البيـــت. وسبب عودتها إلى البيت أنها أم لثلاثـــة أولاد (في العاشـــرة والثامنـــة والسابعة) وقد قال لها أحد أبنائها ذات مرة " لا يهمني أن تكوني امـــرأة عاملة إذا كنت ستحضرين المناسبات العائلية (أعياد ميلادنا).

وتضيف السيدة بارنز Barnez:"لقد كنت أحترق من جهـــتين، لقد قمت بجهود كبيرة جداً من أجل شركة ببسي كولا، لقد كان لدي

جدولاً مزعجاً ومتعباً وكنت أحضر موائد العمل من غـــداء وعشـــاء، وتضيف إن ترك العمل سيكون مؤلماً ولكني أحتاج أسرتي أكثر."

ولأن ببسي كولا تعرف قدرات هذه المرأة فقد حاولت إقناعهـــا بالبقاء رئيسة لقسم حقق أرباحاً تقدر بأكثر من بليـــون دولار العـــالم الماضي (١٩٩٦) وعرضت عليها وظيفة أقل مسؤوليات ، ويقول رئيس شركة ببسي كولا: "لقد تقدمنا بكل اقتراح ممكن لإثنائها عن قرارهـــا ولكن دون فائدة. إن برندا بارنز Brenda Barnes واحدة من أكثر الموظفين التنفيذيين موهبة واحتراماً في صناعتنا، لقد كنّا نعدها لمناصـــب قيادية أكبر."

ومن النساء اللاتي رفضن المنصب الكبير من أجل الأمومة رئيســـة شركة كوكا كولا في بريطانيا السيدة بني هقيـــز Penny Hugies (٣٥ سنة) وهي أول امرأة ترأس فرع الشـــركة في بريطانيـــا تقـــدمت باستقالتها من أجل أن تضع أول مولود لها. وفي الأسبوع نفسه الـــذي أصدرت فيه السيدة بارنز قرارها ظهر كتاب: **هل يمكـــن أن تكـــوني الرابحة دوماً؟** تحدثت فيه كاتبته التي كانت أماً لخمسة أطفال ومـــديرة تصف معاناتها بمحاولة التوفيق بين ضغوط العمل وأسرتها.

وفي العدد نفسه من جريـــدة التلغـــراف البريطانيـــة Daily Telegraph كتبت مينيت مارين Minette Marrin حول وضع المرأة في المجتمعات الغربية وكان مما قالته في معرض تعليقها على كتـــاب جديد صدر للمؤلف الأمريكي الياباني الأصل ميشال فوكوياما: "قـــد لا

يكون فوكوياما أول من قال بهذه الآراء عن المرأة ولكنه بالتأكيد من أكثر الرجال صراحة، ففي كتابه المثير للجدل المسمي (نهاية العالم) تناول فيه دور المرأة في انهيار النظام الاجتماعي الغربي بسبب الحرية المدمرة التي حصلت عليها المرأة." ويتحدث فوكوياما عن الفرق بين النظام الاجتماعي الغربي والنظام الاجتماعي في دول آسيا وبخاصة اليابان فيقول إن من أسباب عدم حصول المشكلات الاجتماعية في دول آسيا " أنها حدت بقوة من مساواة المرأة." ويضيف بأن الدول الغربية إذا ما أرادت أن تستحدث قوانين تبعد المرأة عن أسواق العمل، و لم تسمح بإعطاء المرأة أجوراً مساوية للرجل، فإن ذلك سيؤدي إلى اعتماد المرأة على الرجل وبالتالي يساعد في إعادة الأسرة المكونة من أبوين."

أما السبب الذي قاد فوكوياما إلى هذه النظرة فهو أنه نظر إلى الأمراض الاجتماعية التي أصابت المجتمعات الغربية في الثلاثين سنة الماضية فوجد أنها ترجع إلى حصول المرأة على قدر كبير من الحرية. ويربط فوكوياما بين التطور الاقتصادي والبناء الأسري فيرى أن الزواج والأسرة يبنيان الرأسمال الاجتماعي وهو الذي تعتمد عليه المجتمعات وإن التراجع في الرأسمال الاجتماعي تبعه بلا شك تراجع في الأسرة.

ويشارك فوكوياما هذه الآراء عدد من المفكرين الغربيين فهذا فيليب لاركن Philip Larkin يرى أنه منذ عام ١٩٦٣ بدأت التدهور الاجتماعي في الغرب بظهور التحكم في النسل والمساواة في الأجور بين الرجال والنساء. فحيث إن النساء يستطعن أن يسيطرن على خصوبتهن

ويعلن أنفسهن وأولادهن . ومن هنا أصبح الطلاق وغياب الأب ممكناً بل أصبحت أمراً مرغوباً، وبالتالي تم التقليل من شأن الأبوة. وهكذا فالأطفال الذين عاشوا بلا آباء أنجبوا فيما بعد أطفالاً بلا آباء.

ومن الأفكار التي تؤكدها طروحات فوكوياما وغيره أن الأطفال في الأسر التقليدية (أم وأب) يمكن أن ينجحوا في المدرسة، ويتعلموا المهارات المختلفة التي تساعدهم على العمل التعاوني في مجتمع معقد تكنولوجياً – مجتمع ما بعد الصناعة- ويقترح فوكوياما أن يتم تشجيع مجتمع الثقافات المتعددة ليستفيد الغرب من الثقافات الأخرى . ولكن الكاتبة لا توافقه على ذلك ربما بسبب انتمائها للحضارة الغربية ونزعتها لسيطرة هذه الثقافة.

هل المرأة الغربية حصلت بالفعل على حرية أكثر مما يجب أو هل الغرب سلمّ قياده للمرأة ؟ إن الإحصائيات عن النسيج الاجتماعي الغربي تؤكد أن أوضاع المرأة ليست بالصورة الزاهية التي يراها البعض من الحصول على حقوق أو حرية أكثر مما يجب. وقد تكون الحرية الزائدة – في نظر البعض – إنما هي قيود. ولذلك عقدت رئيسة البرلمان الاتحادي الأوروبي ريتا زوسموت اجتماعاً مع عدد من ممثلات الأحزاب والمنظمات الأخرى مؤتمراً صحفياً دعت فيه إلى ضرورة إيصال صوت المرأة إلى داخل الدولة والمجتمع وطالبت بسن قوانين تحمي المرأة من العداء عليها وعلى كرامتها من خلال العنف الجنسي وغيره من أنواع العداء ضد

المرأة، كما طالبت وسائل الإعلام أن تمارس رقابة ذاتية أقوى على برامجها التي تعرض للمرأة بشكل يمتهنها .

وفي الوقت الذي تعلن نساء الغرب أنهن عائدات إلى البيت للحرص على عدم انهيار الأسرة أو الحرص على استمرار بناء الأسرة قوياً تتحدث الدكتورة عائشة راتب–أ ستاذة قانون ووزيرة سابقة- بأنها تتعجب من وجود دعاوي في نهاية القرن العشرين تطالب بعودة المرأة إلى البيت، فعودة المرأة إلى البيت- في نظرها-" إنما تؤدي إلى أن "يعود المجتمع إلى التخلف ويفقد نصف قوته الضاربة العاملة التي حققت عشرات النجاحات"، بل تواصل هجومها على هذه الدعوة حتى تقول: "فالدعاوي التي تطالب بعودة المرأة إلى البيت دعاوي هدفها هدم المجتمع بالكامل." (مجلة **المجلة** ٣-٩مايو١٩٩٨م).وكأن الدكتورة لا تقرأ ما يحدث في العالم من اضطرابات؛ ففي المكسيك قام الرجال بإضرابات ومظاهرات يشكون فيها من أوضاعهم الاقتصادية وأنهم لا يجدون العمل مع أن فرص العمل متوفرة وتعطى للنساء. فقد ضاق الرجال ذرعاً بتشغيل نسائهم ومنعهم من الحصول على فرص للعمل. وقد حدثني أحد الإخوة في بلد عربي مسلم أنه تقدم إلى العديد من الجهات إلى العمل باسمه وكان معظم الردود تأتي بالرفض فقرر أن يكتب إلى الجهات نفسها مستخدماً اسم فتاة فجاءت معظم الردود ترحب به. فأين المساواة بين الرجل والمرأة يبدو أنها انقلبت ضد الرجل في كثير من الأحيان.

فهل نعي الدروس التي يمكن أن نفيدها من تجربة الغـــرب الـــذي أصر على إخراج المرأة للعمل في كل الميادين ثم امتهنها في شتى المجالات، بينما كرّمها الإسلام وجعل مسؤولية النفقة عليها من أهم واجبات الرجل ثم أمره بإكرامها واحترامها، كما خصص لها نصيباً من الميراث يفوق في حالات كثيرة ما يحصل عليه الرجال مع عدم تكليفها بالإنفاق على أحد.

المبحث الثاني

عمل المرأة: دروس من الغرب

قبل سنتين تقريباً عرضت قناة تلفزيونية في واشنطن العاصمة في أحد برامج الحــوارات (Talk Shows) قضية مربيات الأطفال المؤقتات (وقت ذهاب المرأة إلى العمل) وما ترتكبه بعض هؤلاء المربيات من قسوة ووحشية ضد الأطفال الذين أوكل إليها رعايتهم في غياب أمهم في عملها.

وجرى حوار بين الحاضرات والحاضرين حول عمل المرأة وضرورته إذا كان للمرأة أطفال في سن دون المدرسة. وقد طالبت إحدى الحاضرات المرأة العاملة بالتوقف مؤقتاً عن العمل أو ترك العمل للتفرغ لتربيــة أبنائها، فردت عليها إحداهن بأنها لا تعمل لتوفر مالاً لشراء سيارة فارهة أو بناء قصر مشيد، و لكنها تعمل من أجل لقمة العيش الضرورية. وهنا انبرى أحد الحضور قائلاً: كيف تطلبين من المرأة أن لا تعمــل أتريدين أن نعود إلى القرون الماضية، لقد أصبح عمل المرأة ضرورة (وكأنه بعض المنادين عندنا بضرورة أن تعمل المرأة أي عمل)، و لم أشاهد أحداً من الحضور يتساءل هل من معايير التقدم خروج المرأة للعمل أي عمل؟

وقد ظهرت العديد من المقالات التي تتناول عمل المرأة ومنها مقال الصديق الدكتور عبد الواحد الحميد في جريدة الرياض، وكذلك

مقالة أو مقالتي الدكتور صالح كريم في عكاظ. ولم أرغب أن أدلي بدلوي رغم أنني وضعت هذا الموضوع على قائمة الموضوعات التي أريد أن أتناولها. وفي مطار جدة وجدت عنوان غلاف العدد الأخير من مجلة نيوزويك الأمريكية (١٩مايو١٩٩٧م) يقول:"لا وقت للأطفال، كيف يغش الآباء والأمهات العاملون أبناءهم" فأخذت العدد لأقرأ تفاصيل الملف، فوجدت أن الغرب الذي سبقنا بمئات السنين بعمل المرأة ومشاركتها للرجل لديه ما يمكن أن نتعلمه فما ذا في الملف؟

يقول الملف إن تربية الأطفال لا يمكن أن تتم باعتبارها أحد الأعمال اليومية التي نضعها على جدول أعمالنا، كما لا يمكننا أن نربي أطفالنا بطريقة عقد الاجتماعات مع الأطفال، فهذه خدعة. ومن العبارات ذات المغزى في الملف: "المربيات أو جليسات الأطفال لا يمكن أن يقمن مقام الأم في التربية". وقد أشار الملف إلى كتاب أصدرته الباحثة في علم النفس هوتشايلد عنوانه (قيود الزمن) تقول فيه: "معظم العائلات العاملة هم سجناء أو صانعوا قيود الزمن يجدون أنفسهم خاضعين لهذه القيود، وتضيف بأنه كلما ازداد الوقت الذي تقضيه الأمهات مع الأطفال في نشاطات مختلفة كالطبخ وأعمال المترل الأخرى يتبادلون خلالها النظرات والابتسامات كلما كان ذلك أفضل لتنشئة أطفال أسوياء، وليست المسألة قضاء بضع دقائق مع الأطفال كل يوم أو مرة في الأسبوع، وتضيف بأن اللقاء على مائدة العشاء بينما التلفزيون مفتوحاً ليست كاللقاء بدون أن يكون جهاز التلفزيون يعمل"

وفي الملف نجد عبارات مهمة مثل: "الثقة بالنفس لدى الطفل تتزعزع إذا عرف أن والديه أو أحـــدهمـــا لا يهتمان به كل اهتمامها. فهذا الاهتمام يضيع حينما يتسابق الوالدان الساعة السابعة والنصف صباحاً نحو الباب كل متوجه إلى عمله، وقد يكون ذهاب الوالدين في وقت قبل ذلك بكثير. والذي يمنع كثير من الآباء والأمهات عن قضاء وقت أطول مع أولادهم أن الاهتمام بالاحتفاظ بالوظيفة والحصول عـــلى الترقية يطغيان على الاهتمام بالأطفال، فالمحافظة على الوظيفة في الأوضاع الاقتصادية الصعبة يجعل الآباء والأمهات يضحون بأسرهم من أجل لقمة العيش.

ومن الأمور اللافتة للانتباه الحديث عن الاتجاه الجديد لدى الآباء والأمهات في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا إلى تخفيض ساعات العمل والتنازل عن بعض الامتيازات الوظيفية مقابل البقاء مع الأبناء. فقد اتخذت بعض الأسر القرار بتخفيض مصروفاتها بالانتقال إلى منطقة سكنية أرخص أو أقل كلفة أو السكنى بالقرب من عمل الأم أو الأب حتى لا يضيع الوقت في المواصلات. كما ذكر بعض الآباء أنهم اختاروا أن يعملوا عملاً لا يستغرق النهار كله ليمضوا أطول وقت ممكن مع أطفالهم، كما ذكر بعض الآباء والأمهات أنهم تركوا الوظيفة ليعملوا من منازلهم. ويلاحظ أن هذه القضية تثار في الوقت الذي انخفض فيه عدد أفراد الأسرة الأوروبية والأمريكية فلم يعد يزيد عدد الأطفال في الأسرة عن

اثنين بينما كان هذا العدد يصل إلى أربعة أو أكثر قبل عشرين سنة أو يزيد.

وأشار الملف إلى أن الوضع في أوروبا مختلف جداً بالنسبة للوقت فإن هولندا قد أعلنت أنه بإمكان الموظف أن يعمل أربعة أيام بدلاً من خمسة إن شاء، كما أن بعض الشركات والبنوك تسمح لموظفيها أن يختـــــاروا ساعات العمل التي يرغبون العمل فيها. وقد توصل الأوروبيون إلى أنه ليس المهم عدد الســـاعات التي تعملها بقدر ما تنتجه في هذه الساعات.وفي النرويج تُعطى الأمهات إجازة مدفوعة الراتب مدتها سنة تقريباً، ويحصل الآباء أيضاً على إجازة أربعة أسابيع.

وتناول الملف قضية مشاركة الآباء في التربية وفي أعمال المنزل حيث إن الدراسات تظهر تغير مفهوم الآباء نحو المشاركة في الأعمال المنزلية التي كانوا يأنفون منها في الماضي. وأتعجب عندما أسمع مثل هذا الكـــلام من الغربيين فإن سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد e كان يعين أهله في أعمال المنزل، فقد روى الترمذي أن عائشة رضي الله عنها سئلت: ماذا كان يفعل رسول الله e في بيته قالت:"كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه".

وفي الوقت الذي يبحث الغربيون عموماً عن حلول لمشكلاتهم نجد أن بعضنا يغالط في القول أن أبناء المرأة العاملة كذا وكذا، بينما أبناء النساء غير العاملات يتصفون بكذا وكذا ...فالأمر ليس بهذه السهولة فالأحكام ينبغي أن لا تطلق جزافاً بل علينا أن نقوم بدراسات على

أوضاعنا المستجدة وأن نبحث في تجارب الأمم الأخرى لنتجنب السلبيات ونأخذ بالإيجابيات.

المبحث الثالث

المربيات والأطفال

مما يوصف به المجتمع الأمريكي أو الغربي بعامة انه مجتمع مفتـــوح أو منفتح على نفسه، فلا تكاد تظهر مشكلة أو تبرز ظاهرة من الظواهر الاجتماعية أو الفكرية حتى يبدأ الحديث عنها في وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز وتتجه مراكز الأبحاث والجامعـــات والمعاهـــد العلمية لدراستها ، وقد يصل الاهتمام إلى الحكومية الفدراليـــة فيشـــكل الكونجرس اللجان الخاصة بدراسة تلك الظاهرة.

ومن الظواهر التي شاهدت التلفاز الأمريكي يناقشها في أكثر من محطة وبرنامج: ظاهرة سوء معاملة بعض المربيات للأطفال أثناء غيـــاب الوالدين عن البيت حيث يعملان لمواجهة متطلبات الحيـــاة الضـــرورية. وكعادة المجتمع الأمريكي لجأ إلى التكنولوجيا لكشف ما تفعلـــه بعـــض المربّيات مع الأطفال. وبالفعل تم تركيب كمرة خفية في المترل وكانـــت النتائج مخيفة أو حتى مرعبة؛ فقد لوحظ أن بعض المربيات يقمن بمعاملة الأطفال بقسوة ووحشية فإحدى المربيات كانت تضرب الطفل الصـــغير بقلم الرصاص على رأسه، بالإضافة إلى الصراخ المستمر في وجهه الطفل حتى ينام، بينما قامت أخرى بحبس الطفل في الحمام وذهبت للحديث في الهاتف مع إحدى صديقاها، أو مشاهدة أفلام الفيديو.

ومن الحلول التي اقترحت أن لا يلجأ الوالدين للبحث عن المربيات عن طريق الإعلان في الصحف، بل الأفضل اللجوء إلى المؤسسات الخاصة بالتوظيف ذلك أن هذه المؤسسات تقوم بالبحث في سجل المتقدمة للوظيفة للتأكد من أنها ليست لها سوابق في الجريمة، كما تقوم بإجراء مقابلات معها للتأكد من سلامتها عقلياً ونفسياً بينما مثل هذه الأمور لا يمكن للوالدين اكتشافها بقدراتهم الخاصة.

ودار نقاش في أحد برامج الحديث(Talk Shows) فما كان من إحدى الحاضرات أن قالت للمرأة التي تعاني من المربيات: لماذا لا تتركين العمل وتتفرغين لأطفالك في هذه السن؟ ولكن الأم أجابت بسرعة هل تظنين أنني أعمل من أجل شراء سيارة فارهة؟ إنني أعمل من أجل الحصول على متطلبات الحياة الضرورية. وتدخّل أحد الحضور - ولكن بأسلوب لم يكن مهذباً- فوصف صاحبة الرأي بأنها جاهلة بالواقع فالمرتبات في البلاد لم تزد كثيراً منذ عام ١٩٧٥م ولذلك فعمل المرأة ضروري.

والدرس الذي نفيده نحن من مثل هذه القضايا أن نحاول مناقشتها والبحث عن الحلول المناسبة لها في ضوء الشريعة الإسلامية الغراء. وقد صدرت بالفعل عدة كتب عن مشكلة المربيّات. أما الحل الإسلامي فهو تخفيض ساعات عمل المرأة إلى أدنى حد ممكن - إذا كان عملها ضروريا- كما ينبغي أن نذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض لكل رضيع من أطفال المسلمين، فلما سمع بكاء الطفل في المسجد وعلم أن أمه تحاول فطامه قبل الأوان بكي رضي الله عنه وجعل المساعدة

لكل مولود. وأعرف أن الحكومة البريطانية تفرض لوالدي الأطفال مـــا يسمى معونة الحليب. ولكن لا أدري هل هي كافية لكيلا تنشـــغل الأم عن أطفالها.

وقد زرت عائلة أمريكية في خريف عام ١٩٩٥م فعلمت أن الأم كانت تعمل ساعات محددة حينما كانت أطفالها صغاراً حتى لا تتركهم في أيدي المربيات. ولعل الحل يكمن في بحث هذه المشكلة بصورة أعمق لمعرفة الاحتياجات الضرورية للمواطنين، ومحاولة تلبيتها دون الحاجة إلى خروج المرأة في الوقت الذي يحتاجها فيه أطفالها. والمسألة مـــن ناحيـــة اقتصادية في صالح أي بلد يسعى لأن تكون الأم هي المربيـــة لأن ذلـــك سيرفع مستوى التربية ويخفف معدل الجريمة التي تحتاج معالجتها إلى أموال طائلة فتكون الخسارة أكبر أو كما يقول المثل العربي (كأننا يـــا بـــدر لا رحنا ولا جينا).

الفصل الثاني

المرأة في نظر بعض مفكري الغرب

المبحث الأول

فوكوياما مع المرأة أو ضدها ؟

بدأت شهرة الباحث الأمريكي الجنسية الياباني الأصل ميشال فوكوياما منذ نشر مقالته المعروفة(نهاية التاريخ) التي تحدث فيها عن أن الديموقراطية الغربية قد حققت النصر على كل المذاهب الأخرى وأن هذا إيذان بنهاية التاريخ. وهي مقولة فلسفية سبق أن قال بها فلاسفة أوروبيون سابقون. والسبب في شهرة هذه المقالة أن جهات معينة في الولايات المتحدة الأمريكية بعثت بنسخ من المقالة إلى عدد من المثقفين قبل أن تظهر في إحدى المجلات الأمريكية ليبدوا رأيهم فيها. وهذا يعطي المقالة ذيوعاً وانتشاراً. وكانت مقولة فوكوياما هذه من بين الموضوعات التي ناقشها مهرجان الجنادرية قبل سنتين.

المهم أن فوكوياما خرج إلى الناس بعد مقولته الأولى بمقولة جديدة أو فلسفة جديدة حول دور المرأة في ازدهار الحضارة أو اضمحلالها. وقد نشرت جريدة التايم اللندنية مقالة بقلم منيت مارين Minette Merrin جاء فيها أن فوكوياما يضع اللوم كله على النساء بأن الثلاثين سنة الماضية التي انتشر فيها تحرر المرأة قادت إلى كل الأمراض الاجتماعية التي يعاني منها الغرب. وتقول المقالة إن فوكوياما قد لا يكون أول من قال بهذه الفكرة لكنه بلا شك كان جريئاً جداً بهذا الطرح في كتابه الجديد (نهاية النظام) The End Of Order حيث يناقش فيه دور

المرأة في انهيار المجتمعات الغربية بسبب الحرية المدمرة ويقول فوكوياما: "إن السبب في أن المجتمعات الأسيوية ابتداءً من اليابان كانت قادرة على تجنب المشكلات التي واجهت المجتمعات الأوروبية والأمريكية هو أنها كانت قادرة على مقاومة مساواة المرأة مع الرجل". ويطالب فوكوياما المجتمعات الغربية أن تعود إلى فرض التفاوت في الأجور بين النساء والرجال حتى تعود المرأة إلى الاعتماد على الرجل في دخلها فهذا قد يساعد في عودة الأسرة المكونة من الوالدين"(نسبة كبيرة من الأسر في الغرب الآن يعولها أحد الوالدين فقط)

ويحدد فوكوياما السنة التي بدأ فيها انهيار الأسرة وهي سنة ١٩٦٧ أو ١٩٦٣ كما يفضل كاتب المقال حينما انتشرت موانع الحمل، وفرضت الأجور المتساوية بين المرأة والرجل. فعندما أصبحت المرأة قادرة على السيطرة على خصوبتها وأصبح لديها دخل كاف فلم تعد معتمدة على الرجل وأصبح الطلاق والعيش بدون زوج أمراً ليس ممكناً فقط بل أصبح مرغوباً.

أما النظرية الأخرى التي جاء بها فوكوياما وأطلق عليها جون أوميسنكي في بعض الصحف الأمريكية(**الشرق الأوسط** ٢٩أغسطس ١٩٩٨م) (تأنيث المستقبل) ومفادها أن المرأة سيصبح لها قوة أكبر في المستقبل حيث إن عدداً أكبر من النساء سيدخلن مجال السياسة ولأنهن يعشن أطول فإن من المتوقع أن يصبح لهن قوة سياسية أكبر وذلك حيث يدخلن الانتخابات وينتخبن نساءً مثلهن. وذكر بعض الأرقام وهي أن

النساء فوق الخمسين سيمثلن ثلث السكان في أيطاليا وفي ألمانيا ويستنتج من ذلك قائلاً: "يبدو من المؤكد أن النساء سينتخبن المزيد من القيادات النسائية اللاتي سيكون ميلهن نحو التدخل العسكري أقل مما اعتاده الرجال الذين في منتصف أعمارهن". ويؤيد فوكوياما كلامه بالحديث عن عدوانية الرجال والترعات التنافسية بينهم بينما تقل بين النساء.

هذان الموضوعان يستحقان نقاشاً أوسع، لكن يمكن القول باختصار أنه ليس اعتماد المرأة على نفسها أو تحررها هو الذي قاد إلى انهيار الأسرة في الغرب ولكن سبب ذلك أن الغرب يفتقد إلى القيم الحقيقية للأسرة وللعلاقة بين الرجل والمرأة. فالإسلام يقر أساساً بمساواة المرأة مع الرجل (النساء شقائق الرجال)، ولكن لا يكلفهن الإنفاق على الأسرة مهما كان دخل المرأة أو ثروتها. والعدل هو الأساس الذي قامت عليه الشريعة فلا يمكن أن تعطى المرأة أجراً أقل من الرجل لنفس العمل.

أما نظريته عن تأنيث المستقبل فإن الحضارات التي تخرج فيها المرأة عن طبيعتها الأساسية من كونها أمّاً وزوجة وركناً أساسياً في الأسرة إلى أن تتعاطى الأمور العامة أو تكون هي الحاكمة فإن هذه هي المرحلة الأخيرة لأي حضارة وقد صور المودودي رحمه الله أنها نهاية الحضارة والرقي عندما تصبح النساء أمور الحكم بيد النساء.

المبحث الثاني

مادونا بين العالِم والكاردينال.

يظهر في الغرب بين الحين والآخر أفراد يُمْعِنون في الشذوذ حتى إن المجتمعات الغربية التي قبلت كثيراً من الانحرافات على أنها سلوك عادي أو مقبول ترفض مثل هؤلاء الأفراد. فقبل عقود من الزمن ظهرت مجموعة أسمت نفسها ب (الخنافس)(Beatles) وتشبهت بهم في شكل شعورهم ومنهم بدأت الموسيقى الصاخبة (الصخور المتدحرجة)(Rolling Stones)

ومنذ ذلك الحين والشاذون يكثرون حتى ظهرت المطربة الراقصة مادونا، ففاقت في فجورها وشذوذها وخروجها على المألوف كل من سبقها، ولن أجرح شعور القارئ بذكر بعض شطحاتها. ومن الطبيعي أن يسعى المخربون لنشر صرعات هذه الشاذة في أنحاء العالم ، فقامت مؤخراً بجولة زارت فيها ألمانيا ودولة يهود وتركيا.

ومن الدول التي عزمت مادونا أن تنشر صرعتها فيها بورتو ريكو(إحدى دول أمريكا اللاتينية أو الجنوبية) وهذا أمر أزعج الجهات الدينية فيها . وقد كتبت جريدة الحياة(ع١١٢٠٣ في ١٦ أكتوبر ١٩٩٣) أن الكاردينال لوي أبونتي مارتينيز بدأ " يصلّي حتى لا تأتي المغنية الأمريكية مادونا إلى جزيرة بورتو ريكو في نهاية الشهر الجاري لإحياء حفلة." وتضيف الصحيفة " وأعلن الكاردينال وهو أعلى مسؤول

كاثوليكي في تلك الأراضي الأمريكية الواقعة في أرخبيل الكـــاريبي أن " مادونا تجسد قيمة سلبية للبورتوريكيين وللشبيبة " "وطالب الكاردينـــال بإلغاء الحفلة، داعياً الكاثوليك إلى الامتناع عن شراء منتجـــات شـــركة ببسي متعهدة الحفلة التي ستقيمها مادونا في جولتها العالمية."

إن موقف الكاردينال هذا هو الموقف الذي يمليه عليه دينه الـــذي يرفض الانحراف والشذوذ والخلاعة. ولكن هل الغـــرب الـــذي فـــرض "الفصام النكد" بين الدين والسياسية جعل رجل الدين هذا لا يستطيع أن يفعل شيئاً سوى الصلاة والدعاء، ومناشدة المواطنين مقاطعـــة الحفلـــة ومقاطعة منتجات الشركة التي تعهدت إقامة الحفلة وهي شركة ببســـي كولا.

لقد حكم رجال الدين النصارى أوروبا في عصـــورها الوســـطى فكانت في ظلام شديد فزادوها ظلاماً على ظلام .حكمـــوا فاســـتبدوا وطغوا وحرّموا العلم والتقدم وشجعوا الخرافات والتخلف. وبلـــغ مـــن طغيانهم أن باعوا صكوك الغفران فهبت أوروبا متمردة على هذا الحكـــم البغيض.

وأين هذا من الدين الذي نشأ في النور داعياً إلى العلم والتقـــدم والتحضر ، تسلم القيادة فيه العلماء والحكّام العلمـــاء ، و لم يحـــدث في تاريخ الأمة الإسلامية هذا الفصام النكد بين الدين والسياسة حتى عندما تسلم القيادة حكام ليسوا علماء لكنهم بلا شك كانوا على درجة مـــن معرفة أساسيات هذا الدين الذي يقدم رأي العلماء حينما تحتاج الأمة إلى

إرشاد وتوجيه عملاً بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وقوله تعالى(ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الـــذين يستنبطونه منهم)

فلو كانت مثل هذه المرأة الشاذة تعزم على زيارة بلد إســـلامي وأخطأ حاكم مسلم في السماح لها ، فإن العالِم المسلم لن يقف مكتوف اليدين أو يكتفي بالدعاء والمناشدة بل إن العالِم المسلم لن يتـــأخر عـــن الوصول إلى مثل هذا الحاكم يأمره وينهاه. إن أبا جعفر المنصور الـــذي كان يعد فحل بني العباس ومؤسس دولتهم الحقيقي خاطـــب ســـفيان الثوري رحمه الله قائلاً: " لم لا تأتينا فنستشيرك فما أمرتنا بشيء صـــرنا إليه وما نهيتنا عن شيء تركناه." ولما أخطأ أحد الحكام في التعاون مـــع النصارى الصليبيين ما كان من العز بن عبد السلام إلاّ أن أعلن من فوق المنبر بتحريم بيع السلاح للصليبيين وأن الحاكم الذي يتعامل معهم علـــى خطأ.

هذا الكاردينال الذي فرّط أسلافه في مكانتهم الحقيقية يدعو اليوم فلا يستجاب له ، وستأتي مادونا. أما علماؤنا فهم بحمد الله بخير وإنهم لن يفرطوا في الأمانة التي أنيطت بهم.(*)

* -كان من المقرر أن يزور المغني الأمريكي الشاذ مايكال جاكسون دبي في الإمارات العربية المتحدة ولكن العلماء احتجوا لدى حاكم دبي فقبل رأيهم وألغيت الحفلة بعد أن بيعت التذاكر إلى كل دول المنطقة .

الفصل الثالث

السلوك الاجتماعي للمرأة الغربية

المبحث الأول

المرأة في الغرب: مدنيّة قادت إلى التوحش

التقيته مصادفة في مطار جدة القديم(جداً) وهو يهم بوضع حقائبه لدى موظف قسم الأمانـــات فسلّمت عليه لسابق معرفتي به حينما كنّا مبتعثين للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية. وقلت له هل يا ترى لو وضعوا خزانات وعليها مفاتيح يستخدمها المسافرون بأنفسهم دون الحاجة لانتظار موظف الأمانات الذي قد لا يكون في مكانه، أليس هذا أفضل ونحن بذلك نوفر يداً عاملة يمكن أن تؤدي عملاً آخر؟ فقال لي لا ليس ما تقول أفضل، فهذه حضارة الغرب التي جعلـــت الآلة تحل محل الإنسان في كل شيء تقريباً فقست مشاعرهم ، وأصبح تعاملهم مع الآلة أكثر من تعاملهم مع البشر. انظر إليهم آلات لبيع القهوة، آلات لبيع الشاي والحساء والعصير والمرطبات، آلات لبيع الصحف ...آلات آلات آلات...

تذكرت هذا الحوار حينما قرأت خبر المرأة الألمانية التي ألقت بطفلها من ارتفاع عال. كم تتحمـــل هذه المرأة من اللوم؟ كيف وصلت إلى هذه الحال من تحجر المشاعر وقسوة القلب ؟إنها نتاج هذه الحضارة المادية، فلا سبيل إلى توجيه اللوم إليها وحدها. فقد عاشت بين أبوين طغت المادة على حياتيهما فما أن بلغت السادسة عشرة من عمرها حتى طالباها بالإسهام في تكاليف معيشتها بينهما، فعملت وكدّت حتى

تدفع أجرة إقامتها معهما وتكاليف طعامها وشرابها. وبعد أن تدفع فلا شأن لهما بحياتها تأتي متى شاءت وتخرج متى شاءت ويزورها من تشاء...الخ.

وحتى عندما تعمل المرأة فإنها تشارك زوجها نفقات المترل كما يشارك الزوج وربما زيادة عن الرجل، وقد روت إذاعة لندن في أحد برامجها قصص نساء تملكهن حب الانتقام من الرجال فبعد أن تنفق المرأة على الرجل زمنا طويلاً تكتشف في يوم من الأيام أنه يخونها. وقد ارتكبت بعض هذه النسوة كثيراً من الحماقات بزعمهن أنهن ينتقمن من الرجال.

ولم تكن قصة المرأة الألمانية فريدة من نوعها فقد نقلت إلينا صحف الغرب ووسائل إعلامه قصصا أخرى أذكر منها المرأة التي خنقت طفليها بالوسادة ثم خرجت إلى حديقة المترل لتسمر مع زوجها وكأنّ شيئاً لم يحدث. وكذلك قصة المرأة الأمريكية التي ألقت بطفليها في النهر وادعت أن رجلاً أسود هو الذي قتلهما، وأخذت تتصنع البكاء والحزن عليهما أمام كمرات التلفزيون حتى افتضح أمرها.

إن اهتمامنا بما يقع في الغرب إنما هو للتأكيد على مكانة المرأة في الإسلام ومحاولة تجنيبها ويلات العمل ومشاقه. فإن المرأة التي تخضع لقسوة العمل ومتطلباته ثم تعود إلى المترل لتواجه متطلبات الزوج والأطفال وعليها أن تقدم إليهم مشاعر الحنو والعاطفة والرحمة لاشك أنها

ستفشل في ذلك لأنهـــا هي نفسها في حاجة إلى من يرعى شؤونها ويقدم إليها تلك المشاعر التي من المفروض أن تكون هي نبعها.

فهل تنتبه مجتمعاتنا الإسلامية إلى هذه القضايا وتسعى إلى التخفيف عن المرأة لتتفرغ أكثر لبيتها وزوجها وأطفالها حتى يتجنب الوصول إلى هذه المرحلة الخطيرة التي وصل إليها الغرب. وليس هذه دعوة إلى تعطيل طاقات المرأة كما يقول الداعون إلى خروج المرأة ولكن للإفادة من هذه الطاقات فيما خلقت من اجله. ولا ننسى أن المرأة المسلمة على مر التاريخ كان لها دور رائع. وقد سئل عالم فرنسي ما الذي هزم فرنسا في الجزائر فقال: "إنها المرأة الجزائرية". وقد تحدث الأستاذ عبد الحليم الخفاجي- صاحب كتاب(حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون) -عن دور المرأة في مصر عندما تعرضت الحركة الإسلامية للاضطهاد في العهود السابقة فقدم صوراً رائعة لجهاد المرأة المسلمة. فهل نعتبر مما يحدث في الغرب.أو ننتظر أن تطالعنا المجلات التي أصبحت متخصصة في أخبار الجريمة عن جرائم مماثلة في مجتمعاتنا ؟والله الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الثاني

المرأة الغربية والانتقام

ليس الانتقام طبعاً خاصاً بالمرأة، ولكنها لضعفها وعدم قدرتها أحياناً على المواجهة تلجأ للانتقام. وقد كان هذا موضوع أحد برامج إذاعة صوت أمريكا قبل أيام(*). تحدثت المرأة الأولى عن علاقة ربطتها برجل أحبته وعاشت معه وأخلصت له لدرجة أنها كانت تساعده في بحوثه الجامعية. حتى كان يوم من الأيام جاءها يعلن لها أنه يريد أن يرى امرأة أخرى فغضبت غضباً شديداً ، وثارت الدماء في عروقها وما درت ما تقول له. وكانت في تلك الأثناء تعد له بحثاً في أحد الدروس فما كان منها إلاّ أن ذهبت إلى المكتبة واستعارت أحد الكتب ونقلت منه حرفياً عدة صفحات دون الإشارة للمصدر مما يعد سرقة واضحة وضعفاً في إعداد البحث. فما كان من الأستاذ إلاّ أن أعطى حبيبها علامة الرسوب (بجدارة) وقد اعتقدت المرأة أنها انتقمت منه.

أما المرأة الأخرى فقد أحبت رجلاً وكانت امرأة عاملة فتزوجها ولما أرادت وزوجها شراء منزل قامت بدفع مبلغ كبير من الدفعة

---

* -كتب هذه المقالة عام ١٤١٥ ، وأعتقد أن الأمور في الغرب تسير إلى أسوأ في هذا المجال تؤكد ذلك دراساتهم الاجتماعية وإحصائيات الزواج والطلاق ، والجريمة. وهناك اتجاه لزيادة العنف لدى المرأة ليس ضد المرأة ولكن ضد الرجل أيضاً.

الأولى.وكانت تنفق على المترل بقدر إنفاقه وربما أكثر. وبعد مرور ثلاث سنوات على هذا الزواج اكتشفت أن زوجها يخونها مع امرأة أخرى. وقد تركهـــا للعيش مع تلك المرأة. فما كان فمنها إلاّ البحث مشقة عن المكان الذي يعيش فيه وركبـــت سيارتها وسارت عدة ساعات وهي في حالة نفسية سيئة حتى وصلت إلى المكان المقصود فما كان منها إلاّ أن كتبت بخط كبير عبارات بذيئة تشتمه بها.

وتوالت قصص الانتقام في البرنامج ، ولكننا نتوقف عند هاتين القصتين لتحليل محتواهما والبحث عن الانحراف في تصرفات المرأة والرجل. فالمرأة الأولى أعطت نفسها لرجل دون رباط شرعي ، عاشت معه مكّنته من نفسها ، جعلت نفسها زوجة له دون زواج. وهذا الرجل قد اختارها من بين عشرات أو مئات النساء اللاتي يعرفهن. لقد وقع في حبها -كما يقولون- وبادلته هي الشعور نفسه بعد معرفتها لرجال آخرين ، واختارا العيش معاً تمهيداً للزواج.

وهكذا فقد سلكا الطريقة العصرية الحديثة-كما يزعمون- في اختيار الشريك ،بينما الطريقة التقليدية القديمة هي تلك التي تساعد الأسرة في الاختيار. ولا يمكن للمرأة بالعيش مع الرجل إلاّ في وضح النهار بان يتقدم لخطبتها من أهلها ،وتعلن الخطبة والزواج. ولكنهم رفضوا التقاليد والشرعية.

وعاشا معاً فترة من الزمن حتى استهوته امرأة أخرى ، ولم يكن ثمة ما يربطه بالمرأة الأولى سوى قصة الغرام ، والمصلحة بأن كل واحد

مثّل دور الزوج للآخر. لذلك فهو يبحث عند المرأة الثـــانية ما لم يجده عند المرأة الأولى. وسوف يظل يجد امرأة ثالثة ورابعة....الخ. دون أن يصل حد الشبع فليس هناك ما يحدد له عدد النساء اللاتي يمكن أن يرتبط بهن في وقت واحد.

ولو كان هذا المجتمع يعيش وفقاً للمنهج الربّاني وكان الزواج فيه مبني على ارتباط عائلتين، وأنه لا يمكن الارتباط إلاّ في العلن لاحترم الرجل هذه الشروط. أما رغبته في الارتباط بزوجة أخرى أو امرأة أخرى كما هو الحال حالياً (دون زواج) فيؤكد أن الرجل نادراً ما تكفيه امرأة واحدة. ولو نظرنا إلى حياة المجتمع الغربي لتأكد لنا هذا. فهو حين يترك الزوجة صباحاً تواجهه المرأة في محطة القطار أو في الحافلة ثم السكرتيرة في مكتبه أو الموظفة الزميلة أو الرئيسة. ولو ذهب إلى السوق لاشترى من امرأة واحتك بالنساء في حالات لا تعد ولا تحصى منها على سبيل المثال أنهم استخدموا النساء في الغرب للترويج لأنواع البضائع من إطارات السيارات إلى ملابس النساء إلى الخمور إلى السيارات ..وغيرها.

لقد أشبع الرجل الغربي رغبته في أكثر من امرأة واحدة حين أباح لنفسه تعدد الخليلات ، وكان لا بد للمرأة التي اعتقدت أو تمكن منها الاعتقاد بأنه ليس من حق الرجل أكثر من امرأة واحدة، وأن عقد الزواج إنما هو رباط " مقدس "و أبدي. أو حتى الحب الشهواني الذي يجعلها تعيش معه من غير زواج لا يبيح له الارتباط بغيرها خدعها ذلك كله عن حقيقة أن الرجل يمكن أن يكون زوجاً صادقاً ومخلصاً لأربعة نساء في

المنهج الرباني الذي اشترط شرطاً ليس عسيراً ألا وهو العدل في المسكن والنفقة.

أما المرأة الثانية فلا تختلف عن الأولى لولا أنها من فرط حبها وجهلها بالرجل سلمت له أموالها.

إن مثل هذه الحالات هي القاعدة وليست الشذوذ في الغرب، ولو طبقنا نحن المسلمين الإسـلام تطبيقاً صحيحاً ولم ننخدع بما يأتي من الغرب من ألوان الأفلام التي تمجد الزواج بواحـدة فقط لالتفت إلينا. فمن يكتب لنساء الغرب يوقظهن من تلك الهجمة الشرسة على مكانة المرأة في الإسلام فإنها والله أعز ألف ألف مرة من الظلم والظلام والاضطهاد الذي تعيشه في حياتها المعاصرة.

المبحث الثالث

الحياء ونساء الغرب

لا تكاد تمضي أيام دون أن يظهر في الغرب هنا وهناك كتاب عن الحياة الاجتماعية في العالم الإسلامي، ومن الأمثلة على ذلك ظهور كتاب "بنات الجزيرة العربية" لجين ساسون، وكتاب "ثمن الشرف" لجان جوردون (١٩٩٤م). وكلاهما اهتم بموضوع المرأة المسلمة بصفة خاصة. ولنا أن نتساءل لماذا لا نهتم نحن أيضاً بدراسة المجتمعات الغربية ولاسيما أن لدينا أعداداً كبـــيرة من المسلمين الذين يعيشون في تلك المجتمعات؟ هل نحن أقل منهم شأناً فلا يحق لنا دراستهم كما يدرسوننا؟ أو هل اكتفينا بما لدينا من أفكار جاهزة عن المجتمعات الغربية وطغيان الحياة المادية، والانحلال الأخلاقي، وانتشار الجريمة؟ وإذا أردنا إجراء دراسات علمية أكاديمية حول الغرب فمن المسؤول عن هذه الدراسات؟ ومن الذي يتحمل تكاليف إجرائها؟

إننا لن ندرس الغرب بحثاً عن العيوب ونقاط الضعف فقط كما إنه لا يمكن أن نعاملهم بالمثل حيث إننا نعمل وفقاً للتوجيه الرباني في قوله تعالى **{ولا يجرمنّكم شنآنُ قُوْمٍ على ألاّ تَعْدِلوا اعِدلوا هُوَ أقْرَبُ للتّقْوَى}**

وفي هذه المقالة أقدم بضع الصور للحياة الاجتماعية في بريطانيا بخاصة والغرب بعامة، ولئن غلب عليها الطابع السلبي فذلك لأن مصادري إنما هي صحافتهم التي تركز على السلبيات دون الإيجابيات. أما الإيجابيات فأتركها لمن يعيش في الغرب ليبحثها وإن كان حديث الصحافة الغربية عن سلبيات مجتمعاتهم إنما هو من جانب النقد الذاتي الذي نفتقده في العالم الإسلامي بالرغم من أننا أولى منهم بذلك ؛ لأن من أسس الدين الإسلامي النصيحة كما قال صلى الله عليه وسلم :" الدين النصيحة ...الدين النصيحة ..."قلنا لمن يا رسول الله فقال: (لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)

وفيما يأتي بعض الصور من الحياة الاجتماعية الغربية:

أولاً: السلطات القضائية في نيويورك تبيح للنساء كشف صدوهن:

تقدمت مجموعة من النساء بطلب للسلطات في ولاية نيويورك أن يسمح لهن بكشف صدورهن أسوة بالرجال وبخاصة حينما يشتد الحر. وكان من رأي النساء الراغبات في كشف صدورهن أنهن يردن المساواة مع الرجال الذين يسمح لهم النظام بذلك. أما الأمر الثاني فيزعمن أن صدر المرأة ليس له علاقة بالإثارة الجنسية . وقد أجرت الإذاعة البريطانية (القسم الإنجليزي) استطلاعاً للرأي في ٥سبتمبر ١٩٩٤ مع بعض سكان مدينة نيويورك فقال أحدهم " أنا موافق تماماً مع كشف الصدر" وقال آخرون: "لا تسمحوا بكشف الصدر، إنها مأساة." بينما قالت امرأة: "نحن لا نشعر بالأمن بكامل ملابسنا ، فكيف لو كشفنا الصدور؟" وقال

ثالث:" إنهم يريدون كشف الصدر اليوم ولا أدري ما ذا سيطلبن غداً ؟" وقال شخص آخر:" ما هي الرسالة التي نبعثها إلى المجتمع حينما يسمح للنساء بكشف صدورهن ، وما الرسالة التي نوصلها لأطفالنا ، إنه لأمر فظيع."

حين قرأت وسمعت تذكرت الآية الكريمة التي تخاطب المؤمنات بأسلوب رقيق وبليغ بالغض من أبصارهن أولاً ثم بالأمر بإدناء جلابيبهن، ولكن عيون الغربيات وقحة، فهن لم يكتفين بالنـــظر إلى صدور الرجال المكشوفة، بل أردن أن يكشفن كالرجال. وقد كان الحجاب يختلف بين الحرة والجارية في المجتمع المسلم في شدة الحجاب، وقد نهيت المسلمة عن التبرج كما كانت المرأة في الجاهلية ، وما كانت تلك الجاهلية تكشف صدرها تماماً كما تريد نساء نيويورك.

ثانياً: ضابطة إنجليزية تواجه مجلس تأديب هذا الشهر(أغسطس ١٩٩٤م)

اتهمت الضابطة (برتبة كابتن) أنها كان لها علاقة غرامية مع حارس مدفعية ، وقد سبق لهذه المرأة أن غرّمت مئتين وألف جنيه ووجه إليها توبيخ شديد لعدم طاعتها للأوامر العسكرية. و لم تكتف المرأة بكل ذلك بل سمحت لإحدى الصحف الشعبية (التابلويد) أن تلتقط لها صوراً شبه عارية وزيادة على ذلك فهذه الضابطة الأم لطفلين أصبحت صورتها شبه العارية في حجم كبير يعلقها الجنود العزاب في غرفهم.

وقد نشرت مجلة التايم الأمريكية (صيف ١٩٩٧م) ملفاً خاصاً عن سلوك النساء العاملات في السلك العسكري ونقلت عنهم بعض المجالات

العربية. والغريب في هذه القضايا أن المرأة تلام إذا كانت علاقاتها مع عسكريين أقل منها رتبة، ولعل الجيش يتغاضى عن مثل هذه الأفعال إذا كانت مع من هو أعلى منها رتبة.

الفصل الرابع

تعدد الزوجات في الغرب

المبحث الأول

بريطاني يتزوج أربع نساء)(*)

حكم قاض بريطاني على مايكال توماس الذي يبلغ مـــن العمـــر أربعاً وأربعين سنة بالسجن مـــدة ثمانية أشهر لأنه متزوج من ثلاث نساء في وقت واحد، واستطاع أن يخدع الزوجات بلسان معســـول والادعاء بأنه مطلّق أو أرمل. وصرح القاضي الذي حكم عليه بان سلوك مايكال المشـــين يستحق العقوبة لأنه لم يراع مطلقاً حقوق الأطفال وهو عمل يدل على فقر في الأخلاق والدب . وأضاف القاضي بأن المجتمع المتحضر والنظم يجب أن لا يسمح لمثل هؤلاء الرجال بمعاملة النســـاء بهذه الطريقة . إن هذا العمل يعد تحدياً لمؤسسة الزواج، وزاد القاضي باستخدام لفظ عامي قائلاً له: أنت وغد.

لا تهمنا تفاصيل القضية الأخرى كيف تم القبض عليه أو أوضاعه المالية ، لكن هل القاضي يعني ما يقول حقاً؟ لماذا يكون المتزوج بأكثر من واحدة لا يراعي حقوق الأطفال؟ ألا يعلم القـــاضي عـــن الأعـــداد الضخمة للأطفال بلا آباء أو الذين ألقت بهن الأمهات؟ ألا يعلم القاضي عن مشكلة الأمهات تحت العشرين بلا زواج؟ أليس أكرم للطفـــل أن يولد في بيت الزوجيـــة ؟ ثم مـــا التحـــدي لمؤسســـة الـــزواج ؟ إن

* - هذا الخبر نقلاً عن أندرو بيرس ونشر في جريدة التايمز اللندنية في ١٠ سبتمبر ١٩٩٤م.

الإحصائيات الغربية للأزواج والزوجـــات الـــذين يخونـــون أزواجهـــم وزوجـــاتهم تدل على أن الزواج من امرأة أخرى أشرف ألف مرة مـــن الخيانة سواء باتخاذ الخليلات أو ب "الجنس العـــابر" casual sex . ونتساءل أيضاً ألم يسمع القاضي عن الرجال يعاشرون النساء معاشـــرة زوجية دونما زواج رسمي وقد ينجبا الأطفال من هذه المعاشرة ، أليس هذا تحد لمؤسسة الزواج؟ لقد أصبح هذا النوع من المعاشرة شائعاً إلى درجـــة أن مجلة ريدرز دايجست تساءلت في مقالة ما موقف الآباء والأمهات إذا قررت ابنتهما القاصر أن تعيش مع رجل أجنبي دون زواج؟

الأديان السماوية -وإن كان الدين السماوي واحداً وهو الإسلام _ تبيح التعدد وقد عرف هذا الأمر في التاريخ كله عدا عندما سيطرت الثقافة النصرانية الغربية الحديثة فأباحت الفوضى الجنســية واحتقـــرت مؤسسة الزواج . أليس الغرب هو صاحب تقليعات الهبييـــز والبـــانكس وغير ذلك من الهمجية والوحشية ..؟

المبحث الثاني

الوزير وسكرتيرته

ذكرت الإذاعة البريطانية في نشرتها الصباحية قبل أسابيع خبراً مفاده أن وزير الخارجية البريطاني قرر ترك العيش مع زوجته التي قضى معها ثمان وعشرين سنة ليعيش مع سكرتيرته. لم يذكر الخبر سن الوزير ولا سن السكرتيرة . ولكن بعملية حسابية بسيطة أعتقد أن الوزير لن يكون أقل من الخمسين ولن تزيد السكرتيرة في الغالب عن الثلاثين . فما الذي دفع الوزير إلى البحث عن رفيقة أخرى ليعيش معها رغم أنه أمضى مع زوجه ثمان وعشرين سنة.

لن أطرح الموضوع من زاوية أن الإسلام أباح للرجل أن يتزوج أربعة نساء فذلك أمر قد يرى فيـــه البعض نقاشاً دينياً ليس لكاتب هذه السطور الحق في تناوله أو يشعر البعض بحساسية من النقاش بهذه الطريقة. ولـــذلك سأناقش الموضوع من ناحية أخرى وهي طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة .

ما زلت أذكر أن الدكتور مصطفى محمود كان يتحدث عن العلاقة بين الرجل والمرأة في القرآن الكـــريم فأشار إلى أن الآيات الكريمة التي تناولت هذا الموضوع قد ذكرت أن هذه العلاقة تبنى أساساً على المودة والـــرحمة .وأن المرأة والرجل كلاهما سكن للآخر والآيات الكريمة في

هذا المجال هي : { ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة } وقوله تعالى { وجعل منها زوجها ليسكن إليها } وفي اللغة العربية يطلق على الرجل والمرأة كلمة زوج. بينما جاءت كلمة حب لتصف علاقة الإنسان بالله عز وجل كما في قوله تعالى { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقوله تعالى { إن الله يحب المقسطين } وقوله تعالى { إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص } وحب الإنسان للقيم الفاضلة وبأمور أخرى ومنها حب المال والبنين والذهب { زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث .. }

ويضيف الدكتور مصطفى محمود إلى أنه لا يمكن وصف العلاقة بين الرجل والمرأة بالحب. فالحب هو العاطفة التي توصف بها العلاقة بين العبد وربه . فحين يحب الإنسان لا يكون في القلب مجال لشيء آخر وهكذا فحين يمتلأ قلب المؤمن بمحبة الله عز وجل فإنه لا يحب سواه. وليس في هذا تقليل من شأن العلاقة بين المرأة والرجل بل إن المودة والرحمة إذا وجدتا فهما شيئان عظيمان ، وإذا أضيف إليهما السكن. وما أعظم السكن أن يهدأ الإنسان وأن يرتاح وأن

يطمئن وأن لا يقلق. وكل هذه الأمور شيء عظيم ولذلك يمكن أن تتوفر مع أكثر من شريك حياة.

إن الإنسان ليتعجب من تمسك النصارى واليهود بعبارة وردت في الإنجيل عن العلاقة بين الرجل والمرأة وأن الرباط بينهما رباط أزلي لا يزيله إلاّ الموت بينما كتابهم " المقدس" مليء بقصص الأنبياء والرسل والقادة الذين تزوجوا أكثر من واحدة ناهيك عن الذين اتخذوا الخليلات (حاشا للأنبياء أن يكونوا كذلك)

أما واقع الحياة في الغرب وفي الشرق أن الرجل يعجب بأكثر من امرأة فما المانع أن يكون ارتباطه بها شرعاً؟ وفي محاضرة للشيخ ديدات (عافاه الله) ذكر أن في الولايات المتحدة عدد النساء يزيد على عدد الرجال بثمانية ملايين ، كما تقول الإحصائيات بأن هناك أكثر من خمسة وعشرين مليون شاذ من الرجال الذي لا رغبة لهم في النساء فكم عدد النساء اللاتي بقين بلا رجال. ومثل هذا الأمر يقال في المجتمعات الغربية وغيرها. فماذا تفعل النساء اللاتي لا رجال لهم حسب هذه الأرقام؟

ولو أضفنا إلى ذلك إلى أن الدراسات العلمية في علم الأحياء تقول بأن الرجل يظل نشيطاً جنسياً حتى بعد الستين بينما تبدأ الدورة البيولوجية للمرأة بالانحدار منذ سن الأربعين وبخاصة عندما تقترب من توقف عملية الإخصاب. فماذا يفعل الرجل وهو في شوق عارم ليكون له عشيقة حبيبة شريكة من الناحية العاطفية والجسدية؟ هل يبقى في خصام هو وزوجه التي تتأفف من (مراهقة) زوجها كما يحلو للنساء أن يطلقن

على الرجل في سن الخمسين؟ أو هل يبحث عن خليلة كما هو حال الرجال في المجتمعات الغربية أو المجتمعات التي تأثرت بالغرب؟ .

أما التوافق النفسي والفكري بين الرجل ذي الخمسين سنة أو أكثر مع فتاة في العشرينيات من عمرها فأمر معروف فإن الرجل والمرأة كلاهما قادرين على هذا التوافق ، وهاهو الواقع يؤكد ذلك وأكثر ما يبدو هذا في المجال الفني الذي يعرفه كل الناس عندما يرون مخرجاً أو كاتباً مسرحياً أو مؤلفاً قد ارتبط بفتاة تقل عنه في العمر بما يزيد على العشرين سنة.

إن الأمر خطير أن يترك للعواطف وحدها وإن كانت العواطف نفسها تؤكد على ضرورة أن نغير من نظرتنا لارتباط رجل بلغ الخمسين أو الستين بفتاة في العشرينيات من عمرها فهذا الاستهجـــان الذي أشاعته بعض الأفلام السينمائية أو الكتابات التي زعمت أنها تنادي بتحرر المرأة أو تخليصها من سطوة الرجل وشهوانيته هي التي يجب أن تبدأ منذ الآن لتؤكد على ضرورة تيسير مثل هذا الارتباط لما فيه من مصلحة عظيمة للمرأة والرجل معاً وكذلك للمجتمع ككل لمساعدته في السعي نحو العفة والفضيلة والشرف.

ونعود إلى الوزير الذي قرر أن يعيش مع سكرتيرته فلو أن المرأة التي عاش معها ثمان وعشرين سنة أدركت حاجات زوجها الملحة لشيء من البهجة والنشاط في حياته ورضيت أن يكون لها شريكة في زوجها لبقيت صديقته وزوجه يلجأ إليها لأنه سيقضي يوماً مع المرأة التي عاش

معها ذكريات طويلة، وفي اليوم التي يبني حياة جديدة وذكريات جديدة. والسكرتيرة التي وجدت في هذا الرجل الناضج ما تتطلع إليه في الرجل الذي ترغب في العيش معه رضيت أن يبقى مع زوجه الأولى لكان في ذلك تضحية عظيمة تستحق معها التقدير والاحترام.

وأمر آخر وهو أن الرجل الذي يستطيع أن يجدد شبابه بزواجه من فتاة تصغره سنّا سيسعى إلى المحافظة على صحته البدنية والعقلية، ولا بد أن هذا الزواج سيدفعه إلى مزيد من الإبداع في المجال الذي يعمل فيه، وبخاصة إذا كان يعمل في المجال الفكري والفني

الفصل الخامس

دعوة إلى الاحتشام في الغرب

المبحث الأول

شرطة لندن والملابس المحتشم

قبل أكثر من عشرين سنة تقريبا اجتاحت الولايات المتحدة الأمريكية ما سمي حينذاك ب "الثورة الجنسية" حيث ازدادت خلاعة الملابس والسلوك، وازداد معها حالات الاغتصاب. وقد اهتم المجتمع الأمريكي لذلك ، ولأن المجتمع الأمريكي -ظاهريا يحترم آراء النخبة المثقفة فقد استضافت إحدى قنوات التلفزيون التعليمية محامية عجوز فتحدثت عن أسباب انتشار ظاهرة الاغتصاب ووجهت اللوم كلّه أو معظمه إلى النساء وأشارت إلى أن ارتداء النساء للملابس الخليعة الفاضحة يشجع الاغتصاب. وأكدت أن الرجل مهما كان خلوقاً ومكتفياً جنسياً وخرج من بيته وصدمته مناظر العري فقد تدفعه هذه المناظر إلى هذه الجريمة. وأوضحت مسألة غابت عن المجتمع الغربي حينما خرجت النساء وحدهن ونلن ما زعمن أنه الحرية وهو عدم وجود المحرم فنصحت النساء عموماً ألاّ يخرجن من بيوتهن منفردات بل لابد أن يكون معها محرم. وقد سمعت من علّق على كلام هذه العجوز العاقلة بأنها تريد أن تعود بالناس إلى عهود الأجداد، ووصفت بأنها رجعية.

ومضت أوروبا وأمريكا لا تلقي بالاً للنصيحة والحكمة من حكمائها كما أعرض فرعون وقومه عن نصح الرجل الذي كان يخفي إيمانه، وكفروا بموسى عليه السلام. وهكذا ازدادت حالات الاغتصاب

في المجتمعات الغربية وضاقت الشرطة ذرعاً بكثرة الحالات وعجزت عن حــماية المرأة([*]). وأخيراً تفتقت عقلية الشرطة في لندن عن حل بأن أصدرت كتيباً تدعو فيه النساء إلى الالتزام بقواعد الحشمة في اللباس لمنع تعرض المنحرفين لهن.

وقد نشرت الشرق الأوسط خبر صدور هذا الكتيب وقدمت له قائلة:" في وقت تتصاعد فيه باستمرار جرائم الاغتصاب في بريطانيا ليس فقط ليلاً وفي أماكن نائية مهجورة ،بل أيضاً في وضــح النهار وفي الأماكن العامة." ويحتوي الكتيب نصائح كثيرة بخصوص ركوب المرأة في وسائل النقل العامة ، أو السير في الشوارع وغير ذلك من النصائح.

جميل أن يدرك الغرب فوائد الحشمة وضرورة ابتعاد المرأة عن الخروج وحيدة، ولكن هذا كله إنما هو اهتمام بعلاج الأعراض دون البحث عن جذور العلة. هذا هو الحياء المصطنع.وأما الحياء الحقيقي فهو الحجاب الإسلامي الذي جاء تزكية للنفس وتطهيراً لها . وقد اقترن الأمر بالحشمة بأوامر أخرى تجعل الاغتصاب أمراً لا يكاد يوجد في المجتمع المسلم الذي يتمسك بإسلامه. يقول الحق جل وعلا: { فلا تخضعن

---

[*] -نشرت الصحف خبراً عن اغتصاب ضابطة في الشرطة في قطار ليلي في إحــدى المــدن الأوروبية ، فإذا كانت الشرطية لا تستطيع أن تحمي نفسها فكيف تستطيع غيرها من النساء؟

بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض } وأمر النساء بالقرار في البيوت { وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى } .

وليست الحشمة والأدب هما العلاج الوحيد، فقد أمر الإسلام الرجل بكفالة المرأة غير المسؤولة عن إعالة نفسها والخروج من بيتها إلاّ مضطرة . أما في المجتمع الغربي فالأب يطرد ابنته حينما تبلغ الثامنة عشرة أو قد تسكن معه مقابل أجر، وإذا كان عملها يتطلب الخروج ليلاً فمن الذي يخرج لحمايتها؟

والحياء الحقيقي في الإسلام يتمثل في أمر النساء والرجال معاً بالغض من أبصارهن وأبصارهم حماية لعفاف المجتمع. فهل لدى المجتمع الغربي ما يوازي هذا؟ وقد كانت صفة الغض من البصر من الصفات التي افتخر بها بعض العرب في جاهليتهم وبخاصة إذا كانت المرأة جارة كما قال عنترة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها.

إن المرأة بجسدها ومفاتنها سلعة فلا تصح دعاية دون المرأة حتى إطارات السيارات لا تتم الدعاية لها دون المرأة فأين العفة والحياء.

يحتاج المجتمع الغربي للقضاء على الاغتصاب إلى انقلاب شامل، وما هذه العلاجات التي توصف إنما هي لتسكين الآلام وليست للقضاء على المرض. إن العلاج في الحياء الحقيقي الذي يدعو إليه الإسلام الذي

يحاربه الغرب ويزعم أنه رجعية ودعوة إلى القرون الوسطى. أين الدعاة المسلمون لتقديم العلاج للعالم كله وليس للغرب وحده.

المبحث الثاني

عندما غطّيت رأسي تفتح عقلي

بقلم شريفة كارلو   تقديم وترجمة مازن مطبقاني

بينا كنت أبحث في شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) عن قضايا المرأة المسلمة في الغرب، وجدت هذه المقالة لامرأة مسلمة كانت قبل إسلامها تسخر من الحجاب وتراه تخلفاً واضطهاداً للمرأة، ولما منّ الله عز وجل عليها بالإسلام تغيرت نظرتها للحجاب ولوضع المرأة في الإسلام، ولا أريد أن أطيل التعليق على هذه المقالة سوى القول إنها توضح بساطة هذا الدين وسهولة إقناع الآخرين به، كما أنها لم تكتب بقلم باحثة على درجة عالية من الثقافة ولكنها عبّرت عن قناعتها بالحجاب. فهذه رسالة إليكن أخواتي المسلمات اللاتي ولدتن في بيوت مسلمة وبين أهل من المسلمين وتجدن أن الحجاب أمراً غير مقبول. (اللهم هل بلّغت اللهم فاشهد) وفيما يأتي مقالة الأخت شريفة زادها الله توفيقاً ويقيناً .

"لم تكن فكرة العفاف بالنسبة لي وأنا غير المنتمية للإسلام وأعيش في المجتمع الغربي مما يشغل بالي، وهذا هو الأمر الطبيعي لكثير من النساء من جيلي وكنت أظن أن هذه الأفكار تعبر عن تطرف وأنها غير لائقة. لقد شعرت بالشفقة على النساء المسلمات المسكينات اللاتي كان عليهن أن يلبسن تلك (القمامة) أو يمشين في أغطية السرير كما اعتدت أن أطلق على الحجاب.

لقد كنت امرأة عصرية ومتحررة. لم أكن أعرف سوى القليل عن الحقيقة المزعجة أنني كنت مضطهدة أكثر من أي امرأة مسلمة في أكثـــر القرى اضطهاداً للمرأة في العالم الإسلامي. لم أكن مضطهدة لعدم قدرتي على اختيار ملابسي أو أسلوب حياتي . لقد كنت مضطهدة بعدم قدرتي على رؤية مجتمعي وكيف كان على الحقيقة. لقد كنت مضطهدة بفكرة أن جمال المرأة شيء عام وأن الإعجاب الغريزي يساوي الاحترام.

إنه عندما هداني الله للإسلام ووضعت الحجاب على رأسي كنت قادرة أخيراً على أن أخرج من المجتمع الذي عشـــت فيـــه وأراه علـــى حقيقته. لقد رأيت أن أكثر النساء دخلاً هنّ أكثر النساء تكشـــفاً أمـــام الجمهور مثل الممثلات وعارضات الأزياء وحتى الراقصات الخليعات. لقد كنت قادرة على رؤية أن العلاقة بين الرجال والنساء كانت تميل لصـــالح الرجل. لقد عرفت أنني كنت ألبس كي أجذب انتبـــاه الرجـــال. لقـــد حاولت خداع نفسي بالقول إنني فعلت ذلك لإرضاء نفســـي، ولكـــن الحقيقة المؤلمة كانت أنه ما كان يرضيني هو عندما أجد الإعجاب من أي رجل ويَعُدُّني جذابة.

وأعرف الآن أنه لا توجد طريقة ليعرف الإنسان أنه وسخ إذا لم يكن نظيفاً أبداً. ويشبه هذا أنني لم أكن قادرة على رؤية أنـــني كنـــت مضطهدة حتى خرجت من الظلام من هذا المجتمع الظالم إلى نور الإسلام. وبذلك النور الذي أضاء لي الطريق أصبحت أخيراً قادرة علـــى رؤيـــة الظلال التي كانت غامضة بسبب الفلسفات الغربية. ليس من الاضطهاد

أن تحمي نفسك ومجتمعك، إن الاضطهاد أن ترمي نفسك في القاذورات وتنكر أنك اتسخت.

أحمد الله عز وجل أن مكنني من معرفة أنني حينما غطيت رأسي أنني سلبت الآخرين من الحكم علي ليس من خلال عقلي أو روحي أو قلبي. عندما غطيت رأسي جعلت الناس تحترمني لأنهم رأوا أنني أحترم نفسي، وعندما غطيت رأسي فتحت أخيراً عقلي للحقيقة."

"التعليم والمواعظ"

" من أبرز العوامل التي جذبتني لهذا الدين العظيم هو أن معظمه يمكن فهمه بناء على العقل والمنطق، وهذا هو ما يجعلني أشعر بأن كثيراً من الآباء والأمهات المسلمين يخطئون عندما لا يشرحون لأبنائهم أكثر. إن المقولة القديمة "لأنني أقول هذا أو لأنك عربي أو باكستاني أو صومالي (أو أي جنسية أخرى)" لم ولن تجدي أبداً. إن لدى البشر رغبة أساسية ليفهموا ما يفعلون ولماذا يفعلونه، ولهذا فالإسلام دين عظيم لأنه يشبع كل حاجاتنا العقلية والعاطفية وهو يفعل ذلك ببساطة لأنه الحقيقة وأن الحقيقة دائمة سهلة الفهم.

فعندما نعلم أطفالنا يجب أن نستخدم معهم العقل والمنطق الذي نستخدمه لنقنع أنفسنا بأن أي عمل مفيد، وهكذا ونحن نتقبل الإسلام (إن شاء الله) فإنهم سيقبلونه لأنه سيكون مفهوماً لديهم. وبالطبع فإننا نقدم لكل عمل نقوم به أننا نفعله لأننا نريد رضاء الله سبحانه وتعالى

وحده وحتى لو لم نفهم، ولكن الحمد لله نستطيع أن نفهم معظم ما هو مطلوب منا أن نفعله.

فعلى سبيل المثال نفهم لماذا لا نأكل الخنـــزير لأن الله أمرنـــا في القرآن الكريم أن نتجنبه. ولذلك نعلم أن نبينا الحبيب صـــلى الله عليـــه وسلم أمرنا أن نتجنبه. ونحتاج أن نخبر أبناءنا بذلك، وعنـــدما يكـــبرون ويزداد وعيهم وفهمهم نشرح لهم ذلك. وهذا يعلمهم بعض الـــدروس المهمة: أوامر الله سبحانه وتعالى وأوامر رسوله صلى الله عليـــه وســـلم وتعلمهم التعليمات الأساسية في الدين. وبعد ذلك وحالما يتأسس هـــذا الفهم نوضح لهم الحكمة من هذه الأوامر. حيث نتحدث إلـــيهم عـــن الأمراض المرتبطة بلحم الخنـــزير والعادات السيئة في حياة هذا الحيـــوان وتغذيته. وفي النهاية نعلمهم الأشياء التي تساعدهم عـــن تجنـــب هـــذه المعصية. ونعلمهم أن يستخدموا إيمانهم وعقلهم معاً كـــأدوات لتحقيـــق الهدف الأسمى وهو دخول الجنة."

الخاتمة

كانت الصفحات السابقة جولة في عالم المرأة في الغرب، تلك المرأة التي جذبت إليها الأنظار لأن الإعلام الغربي هو الأقوى ولأن الحضارة الغربية هي الحضارة السائدة اليوم فمن الطبيعي أن يسود كل ما فيها. ولّما كنّا في عالمنا العربي الإسلامي لا نعرف من الصورة الحقيقية للمرأة في الغرب إلاّ ما تنقله لنا وسائل الإعلام أو من خلال اختلاط بعضنا بالغرب في أثناء الرحلات السياحية التي لا نعرف من حضارة الغرب إلاّ قشورها فكان لا بد من البحث في أعماق المجتمعات الغربية لعلنا نقدم للقارئ الكريم صورة أقرب إلى الحقيقة والحكمة التي هي ضالة المؤمن.

ولا يمكن أن نزعم أن هذه هي الصورة كاملة ففي الغرب قضايا عديدة لم تسمح مساحة الكتاب بالتطرق إليها؛ فعلى سبيل المثال ظهرت كاتبة أمريكية نشرت كتاباً أثار كثيراً من الجدل في الغرب بعنوان (الزوجة المستسلمة) ثم أتبعته بـ (الفتاة المستسلمة) وأنشأت مجموعة في الإنترنت حول هذه القضية دعت فيه المرأة الغربية أن تعترف للرجل بدور القيادة والقوامة التي تكاد تشبه القوامة عندنا. كما أن في الغرب مجموعات من النساء يحاربن بعض الأدواء الاجتماعية مثل قيادة السيارات في أثناء السكر وأطلق عليهن (أمهات ضد القيادة أثناء السكر) وقد فعلن

هذا لأن بعضهن قد عرفت التأيم وما أصعبه على المرأة حين تفقد ابنـــها الغالي.

أرجو أن يكون القارئ قد وجد في هذا الكتاب ما يـــدعوه إلى التعمق في مكانة المرأة في الإسلام ونظرة الغرب إليها وسيكون هـــذا إن شاء الله أحد مشروعاتي القادمة، والحمد لله رب العالمين